أسلوب القرآن الكريم
في تحفيز الجندي المسلم
لمواجهة الأعداء

إعداد الدكتور/ صالح يحيى صواب
الأستاذ المشارك في التفسير وعلوم القرآن
قسم الدراسات الإسلامية
كلية الآداب – جامعة صنعاء
E.mail: drsawab@hotmail.com



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، محمد بن عبدالله وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

فإن من حكمة الله تعالى أن خلق الناس مختلفين فيما بينهم إلا من شاء الله، تتفاوت عقولهم وآراؤهم ومعتقداتهم وأهواؤهم وأهدافهم، قال سبحانه: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (هود/١١٨).

ومن الاختلاف: الاختلاف بين الحق والباطل، ولهذا كان الصراع بين أهل الحق والباطل، وهو قائم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وكانت المواجهة بين الناس؛ لاختلاف أهدافهم وغاياتهم ومطامعهم، فلكل منهم هدف ومطمع وغاية، يسعى من أجلها، ويصارع من أجلها، ويموت ويحيا من أجلها، ويقاتل من أجل تحقيق ذلك.

أما أهل الحق فهم يقاتلون ويدافعون من أجل الحق، وإعلاء دين الله تعالى.

ولقد أدى الأنبياء – صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين – واجبهم حتى قُتِل بعضهم وهو يؤدي رسالة ربهم، وواجهوا أقوامهم، ودعوا إلى الحق.

وهكذا سار محمد ﷺ فأدى رسالة ربه، وخاض المعارك، وأصابه ما يصيب المقاتلين من الأذى، فكان – صلوات الله وسلامه عليه – مثالا للشجاعة والإقدام والتضحية.

وعلى الأمة المسلمة الاقتداء بمحمد ﷺ، قال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب/٢١).

ومن الاقتداء به ﷺ أن يجاهد المسلمون أعداء الدين، وأن يبذلوا أنفسهم رخيصة في سبيل الله.

ولذلك جاء في كتاب الله تعالى الأمر بقتال المشركين وأخذهم وأسرهم حتى يكون الدين لله وحده.

إلا أن التوجيه القرآني لقتال المشركين لم يكن مقصورا على الأمر بالقتال فحسب، وإنما استعمل القرآن أساليب متعددة، تجعل من المسلم جنديا مجاهدا مخلصا، ناجحا في أداء عمله، قادرا على أداء مهمته دون فشل أو تردد.

وإذا كانت الموضوعات المتعلقة بالجهاد في سبيل الله كثيرة جدا، فقد أحببت أن أقف مع موضوع هام، وهو:

أسلوب القرآن الكريم في تحفيز الجندي المسلم لمواجهة الأعداء.



وأردت من خلال هذا البحث التركيز على ما يبعث الشجاعة والإقدام في نفس الجندي المسلم لمواجهة الأعداء، كما أن في ذلك فائدة للقادة لتوجيه الجنود وإقناعهم بأهمية المواجهة وآثارها.

ولا شك أن مثل هذا الموضوع واسع ومتشعب إلا أنني حاولت جمع شتاته في نقاط بارزة، لتكون واضحة المعالم بإذن الله تعالى.

وقد جاء هذا البحث في فصول أربعة :

الفصل الأول: مبدأ الجهاد، وفيه مباحث:

المبحث الأول: فرضية القتال وذكر الأمر به.

المبحث الثاني: فضل الجهاد.

المبحث الثالث: ذكر مسوغات القتال ومبرراته.

المبحث الرابع: آثار الجهاد وفوائده.

الفصل الثاني : حديث القرآن عن الأعداء.

المبحث الأول: بيان معتقدات العدو، واستحقاقهم القتال.

المبحث الثاني: بيان موقفهم من العرب والمسلمين:

أولا : الحرص على ضلال المؤمنين وكفرهم.

ثانيا : كراهية الخير للمسلمين.

ثالثا : الحرص على قتال المسلمين.

رابعا: عدم وفائهم مع المؤمنين وعدم احترامهم للعهود والمواثيق.

خامسا : اعتقاد أهل الكتاب بعدم الحرج في أكل أموال غيرهم.

الفصل الثالث: ما يتعلق بالمعركة ...

المبحث الأول: وعد الله تعالى بنصرة المؤمنين وهزيمة المشركين.

المبحث الثاني: بيان ضعف الأعداء وجبنهم.

المبحث الثالث: التوجيه المعنوي للمقاتلين.

المبحث الرابع: أثر القائد في تحفيز المقاتلين.

الفصل الرابع: التوجيه والتوعية.

المبحث الأول: سنة الابتلاء..

المبحث الثاني: حتمية الموت وبيان أن الآجال بيد الله.

المبحث الثالث: الولاء والبراء وأثره في التربية الجهادية..



المبحث الرابع : إزالة الشبهات التي يثيرها المثبطون.

المبحث الخامس: ذكر النماذج الحسنة والنماذج السيئة ..

ولعل أبرز ما واجهته من صعوبة في هذا البحث: سعة الموضوع وتشعبه، مع محدودية صفحات البحث، ولهذا فقد حاولت بقدر الإمكان التقليل من النقول من كتب التفسير، لأن الغرض من هذا البحث بيان منهج القرآن وأسلوبه، وذلك واضح جلي.

وأخيرا .. فهذا جهد بشري، فإن أصبت فبتوفيق الله ورحمته، وإن أخطأت فهذا شأن البشر، وأستغفر الله تعالى، وأسأله سبحانه أن ينفع بما كتبت، وأن يجزي القائمين على هذا المؤتمر خير الجزاء، وكذا كل من قام بدور في خدمة القرآن بأي وسيلة كانت، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفصل الأول

مبدأ الجهاد:

المبحث الأول: فرضية القتال وذكر الأمر به..

فرض الله تعالى الجهاد في سبيله على المؤمنين، وأمر به في مواضع كثيرة من كتابه، ومن ثم فلا اختيار للمسلمين في قتال أعدائهم أو عدمه، بل هو أمر واجب، قال سبحانه وتعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة/٢١٦).

يقول البغوي رحمه الله: "(كتب عليكم القتال) أي: فرض عليكم الجهاد"[١].

وقال الشيخ السعدي رحمه الله: "هذه الآية فيها فرض القتال في سبيل الله بعدما كان المؤمنون مأمورين بتركه لضعفهم وعدم احتمالهم لذلك، فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة وكثر المسلمون وقَوُوا، أمرهم الله تعالى بالقتال"[٢].

ولا شك أن تلك الفرضية تجعل المؤمن يمتثل أمر الله تعالى ويستسلم له.

وقد ورد الأمر بالقتال في آيات كثيرة، من ذلك قوله سبحانه: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة/٢٤٤)، وقوله سبحانه: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنْ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (الأنفال/٣٩)، وقوله سبحانه: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ (التوبة/٥)، وقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنْ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (التوبة/١٢٣)، وقوله سبحانه: ﴿فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ (محمد/٤)، وقوله سبحانه: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء/٧٤).

وقد أمر المسلمون بقتال الأعداء وجهادهم حتى وإن شق عليهم الخروج في سبيل الله تعالى، قال سبحانه: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (التوبة/٤١).

---

(١) معالم التنزيل ١/١٨٨ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن ١/٩٦ .



قال الطبري رحمه الله: "إن الله – تعالى ذكره – أمر المؤمنين بالنفر لجهاد أعدائه في سبيله خفافا وثقالا، وقد يدخل في الخفاف كل من كان سهلا عليه النفر لقوة بدنه على ذلك وصحة جسمه وشبابه، ومن كان ذا تيسر بمال، وفراغ من الاشتغال، وقادرا على الظهر والركاب.

ويدخل في الثقال كل من كان بخلاف ذلك من ضعيف الجسم وعليله وسقيمه، ومن معسر من المال، ومشتغل بضيعة ومعاش، ومن كان لا ظهر له ولا ركاب والشيخ وذو السن والعيال"(١).

ويقول الشوكاني: "(انفروا خفافا وثقالا) أي: حال كونكم خفافا وثقالا، قيل المراد: منفردين أو مجتمعين، وقيل: نشاطا وغير نشاط، وقيل: فقراء وأغنياء، وقيل: شبابا وشيوخا، وقيل: رجالا وفرسانا، وقيل: من لا عيال له ومن له عيال، وقيل: من يسبق إلى الحرب كالطلائع ومن يتأخر كالجيش، وقيل غير ذلك، ولا مانع من حمل الآية على جميع هذه المعاني؛ لأن معنى الآية: انفروا خفت عليكم الحركة أو ثقلت"(٢).

وخلاصة القول أن مما يحفز الجندي المسلم على مواجهة الأعداء أن القتال فريضة أمر الله تعالى بها، وليس مبنيا على اجتهاد بشري، أو أهواء ومصالح، وإنما هو تنفيذ لأمر الله تعالى، وامتثال له.

ومهما كانت النتائج فإن الجندي المسلم يطيع الله تعالى في مواجهته للأعداء، وهو يتعبد الله عز وجل بذلك، وهذا – بلا شك – من أهم الحوافز التي تدفعه للقتال في سبيل الله.

المبحث الثاني: فضل الجهاد:

لم يقتصر حديث القرآن عن القتال على مجرد الأمر به، بل جعل الله سبحانه للجهاد فضيلة خاصة، وثوابا كبيرا، ذلك أن المرء يبذل نفسه – وهي أغلى ما يملك – رخيصة في سبيل الله تعالى، قال سبحانه: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ، تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ، يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ الصف١٠/١٢.

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمْ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنْ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة/١١١).

وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا أُوْلَئِكَ هُمْ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (الأنفال/٧٤).

---

(١) جامع البيان ١٠/١٤٠ .

(٢) فتح القدير ٢/٣٦٢،٣٦٣ .



فوعدهم سبحانه بالمغفرة، ودخول الجنة.. وجعل ذلك حقا عليه سبحانه وتعالى، وتكفل بذلك، كما جاء في الحديث عن أبي هريرة – رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرجه إلا الجهاد في سبيله وتصديق كلماته بأن يدخله الجنة أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر أو غنيمة"(١).

وقد ضمن الله عز وجل الأجر للمجاهد في سبيله سواء في حال النصر على الأعداء أو في حال موته فقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء/٧٤).

وبين سبحانه وتعالى فضل المجاهدين بالمال والنفس على غيرهم، فجعل لهم الأجر العظيم، والدرجات العلى، والمغفرة، قال سبحانه: ﴿لاَ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا، دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (النساء/٩٥،٩٦).

فأجر المجاهدين في سبيل الله أجر عظيم، أجر ومثوبة على خروجهم في سبيل الله، ورباطهم في الجهاد، وإنفاقهم في سبيل الله، وكل خطوة يخطونها أو تعب أو نصب أو أذى يصيبهم فهم مأجورون عليه، قال سبحانه: ﴿مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلاَ يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ، وَلاَ يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً وَلاَ يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمْ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (التوبة/١٢٠،١٢١).

وقد بين سبحانه وتعالى محبته للمقاتلين في سبيله ووعدهم بالجنة، كما في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ (الصف/٤)، وقوله سبحانه: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ (آل عمران/١٩٥)، وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ، سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ، وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ (محمد/٤–٦).

---

(١) متفق عليه، صحيح البخاري ١١٣٥/٣، كتاب التوحيد، باب: ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين، وصحيح مسلم ١٤٩٦/٣، كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله.



وأعظم ما يصيبه المقاتل في سبيل الله ويسعى إليه: الشهادة في سبيل الله تعالى، وإنما يكون ذلك بالقتال في سبيل الله تعالى، وقد ذكر الله سبحانه أجر الشهداء في آيات كثيرة، منها قوله سبحانه: ﴿وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لاَ تَشْعُرُونَ﴾ (البقرة/١٥٤)، وقوله: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ، يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران/١٦٩–١٧١)، وقوله: ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ (الحديد/١٩).

عن مسروق – رحمه الله – قال: سألنا عبد الله – هو ابن مسعود – عن هذه الآية: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ قال: أما إنا قد سألنا عن ذلك، فقال: أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل..." الحديث[1].

ولا شك أن في هذه الوعود والكرامات حافزا كبيرا تجعل الجندي المسلم يقف في مواجهة الأعداء، لا لهدف دنيوي زائل، وإنما ابتغاء مرضاة الله سبحانه والفوز بالجنة، ولا يخفى أثر ذلك في ثبات الجندي المسلم وعزيمته.

المبحث الثالث: ذكر مسوغات القتال ومبرراته:

مع الأمر بالجهاد وبيان فضله العظيم، إلا أن القرآن الكريم لم يقتصر على ذلك بل بين سبحانه وتعالى الهدف من القتال؛ وأعظم هدف هو نشر الدين وإعلاء كلمة الله تعالى، فقد أرسل الله عز وجل رسوله محمدا ﷺ ليظهر هذا الدين على الدين كله، كما قال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (التوبة/٣٣).

وقد أوضح القرآن أن من أهداف القتال في سبيل الله إعلاء دين الله تعالى، قال سبحانه: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنْ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (الأنفال/٣٩).

وفي الجهاد تمحيص واختبار للعباد؛ ليتميز الصادق من الكاذب، قال سبحانه: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ، وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ (آل عمران/١٤٠–١٤١)، وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لاَنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ (محمد/٤)..

وثمة هدف آخر للمسلم، وهو الانتصار من الظالم، الذي بغى عليه وآذاه في جسمه أو ماله أو عرضه أو داره، فأباح الله تعالى الانتصار للنفس، وجعل ذلك من صفات المؤمنين، قال

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ١٥٠٢/٣، والترمذي في سننه ٢٣١/٥، وابن ماجه في سننه ٩٣٦/٢ .



سبحانه: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ، الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ (الحج/٣٩،٤٠).

ومن صفات المؤمنين أنهم ينتصرون لأنفسهم ممن ظلمهم، ولا حرج في ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ (الشورى/٣٩)، وقال سبحانه: ﴿وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ (الشورى/٤١).

وفي الجهاد دفع للفساد وطغيان الظالمين كما قال سبحانه: ﴿وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتْ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة/٢٥١)، وقال عز وجل: ﴿وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج/٤٠).

ومن الأمور التي شرع لها الجهاد في سبيل الله: نصرة المستضعفين والمظلومين، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ (النساء/٧٥).

ولا شك أن في إيضاح أهداف القتال ومبرراته في الإسلام حافزا قويا للجندي المسلم، فهو يعرف ما يريد وما يهدف إليه، وهو مقتنع بذلك، ومن ثم يسعى إلى تنفيذه وأدائه.

المبحث الرابع: بيان آثار الجهاد وفوائده..

لا شك أن للقتال فوائد وآثارا واضحة في الدنيا والآخرة، ولكي يزيد اقتناع المقاتل المسلم بأمر القتال في سبيل الله، ويقنع الآخرين، بالسير على هذا المبدأ فقد ذكر سبحانه وتعالى كثيرا من آثار الجهاد وفوائده.

وقد سبق الحديث عن عدد من هذه الآثار ضمن الحديث عن الأهداف التي يسعى إليها المقاتل المسلم، ومنها مغفرة الذنوب، ورفعة الدرجات، ودخول الجنة.

وفوائد أخرى:

منها: تحقيق النصر في الدنيا، قال سبحانه: ﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرْ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الصف/١٣).

ومنها: الحصول على المغانم، كما قال سبحانه: ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ (الفتح/٢٠)، وقال سبحانه: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ (الأحزاب/٢٧).



ومن ثمرات القتال: كف الكفار عن العبث والإفساد في الأرض وإيذاء العباد، قال سبحانه: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضْ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلاً ﴾ (النساء/٨٤).

ومن ذلك: اتخاذ الشهداء، قال سبحانه: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ، وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ (آل عمران/١٤٠،١٤١).

وعلى الدعاة والواعظين، والقادة والحكام أن يبصروا المقاتلين بهذه الآثار العظيمة لتكون حافزا على الإقدام لمواجهة الأعداء.

المبحث الخامس: التشنيع على المتخلفين عن القتال:

امتدح الله عز وجل المجاهدين الذين يبذلونه أنفسهم رخيصة في سبيل الله عز وجل، وحذر سبحانه وتعالى من التخلف عن القتال أو الفرار منه، وجاء ذلك في صور عديدة، منها: العتاب على القعود عن القتال، والوعيد للقاعدين، ومنها: النهي عن الفرار، ومنها: توجيه اللوم للمعتذرين عن القتال بدون سبب، إلى غير ذلك من الأساليب المتعددة التي تنفر المسلم من القعود عن القتال.

ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ، إِلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (التوبة/٣٨،٣٩).

وقال سبحانه وتعالى في وصف المنافقين: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لاَتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوْ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (التوبة/٤٢).

وقال سبحانه: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلاَ يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلاَّ قَلِيلاً، أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنْ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُوْلَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ (الأحزاب/١٨،١٩).

وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُوْلُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ، رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ﴾ (التوبة/٨٦،٨٧).



وقال سبحانه: ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنْ الأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (التوبة/٩٠).

ولا شك أن كل مسلم مؤمن بالله عز وجل ينفر عن هذه الأوصاف، ويربأ بنفسه عن أن يكون من المتصفين بهذه الصفات، فالجبن والخور من صفات المنافقين، وحريّ به أن يبتعد عن هذه الصفات.



الفصل الثاني

حديث القرآن عن الأعداء.

المبحث الأول: بيان معتقدات العدو، واستحقاقهم القتال:

فرض الله عز وجل القتال على المسلمين، وهو – سبحانه – أحكم الحاكمين، وله الحكمة البالغة، ولا ينبغي لمسلم مخالفة أمر الله أو التردد في تنفيذه.

إلا أن بعض الناس قد يطرح كثيرا من الشبه حول هذا الأمر، وقد لا يجد بعض المقاتلين مبررا لقتال الأعداء، ولذلك جاء القرآن فاضحا أعداء الإسلام، مبينا مثالبهم، وكاشفا عيوبهم، مما يجعلهم مستحقين للقتال.

وإذا كان الهدف من القتال هو إعلاء كلمة الله تعالى، وإظهار دينه على الدين كله، فإنه لا قبول – بعد مبعث محمد ﷺ – لدين ولا اعتراف بدين آخر سوى الإسلام، كما قال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنْ الْخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران/٨٥).

وقد ضل قوم عن الطريق القويم، فاستحقوا القتال، قال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الإِسْلاَمِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ، يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (الصف/٧،٨).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ، وَقَالَتْ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمْ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ، اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ، يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ، هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (التوبة/٢٩–٣٣).

وقال سبحانه: ﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (التوبة/٩).

فقد ذكر سبحانه وتعالى في هذه الآيات أوصافا عديدة.. فهم:

- لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله، ولا يدينون دين الحق.
- وقد اشتروا بآيات الله ثمنا، وصدوا عن سبيل الله.
- وهم يزعمون أن لله ولدا.



– ويتخذون المسيح والأحبار والرهبان أربابا من دون الله.

– ويحاولون إطفاء نور الله تعالى.

فكيف لا يقاتل من صدّ عن دين الله عز وجل، ومنع الناس من عبادة الله تعالى.

وكيف لا يقاتل من افترى الكذب على الله عز وجل، فزعم أن له ولدا، وأن له شريكا.

إن كل وصف من الأوصاف السابقة يجعل الكافرين مستحقين للقتال، فلم يجعل الله تعالى عصمة لدمائهم ولا لأموالهم؛ لأنهم أعدائه.

والمسلم يتقرب إلى الله تعالى بقتال أعداء الله، ويسعى إلى إعلاء دينه وتمكينه.

المبحث الثاني: بيان موقفهم من العرب والمسلمين:

أولا : الحرص على ضلال المؤمنين وكفرهم:

من أخطر ما يسعى إليه الكفار ردة المؤمنين عن دينهم، وضلالهم عن الصراط المستقيم، وذلك أخطر من القتل وسفك الدماء، كما قال سبحانه: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنْ الْقَتْلِ وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة/١٩١)، وقال سبحانه: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنْ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنْ الْقَتْلِ﴾ (البقرة/٢١٧).

وما فتئ الكثير من الكفار من مشركين وأهل الكتاب يتمنون ضلال المؤمنين ورجوعهم عن دينهم بشتى الوسائل، قال سبحانه: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ (النساء/٨٩)، وقال سبحانه: ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (آل عمران/٦٩)، وقال سبحانه: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ الْحَقُّ﴾ (البقرة/١٠٩).

ففي بقاء المحاربين المعادين للإسلام والمسلمين خطر على الدين والمبادئ والأخلاق، وفتنة للمسلمين، وهذا ما يدعو إلى قتالهم حتى يدخلون في الإسلام أو في الذمة والأمان.

ثانيا : كراهية الخير للمسلمين:

لا يقتصر حقد الكفار على المسلمين في صدهم عن دين الله عز وجل وتمني ضلالهم فحسب، بل إنهم لا يريدون لهم أي خير كان.

قال سبحانه: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلاَ الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (البقرة/١٠٥).

قال ابن جرير الطبري رحمه الله: "فتأويل الكلام: ما يحب الكافرون من أهل الكتاب ولا المشركين بالله من عبدة الأوثان أن ينزل عليكم من الخير الذي كان عند الله ينزله عليكم، فتمنى



المشركون وكفرة أهل الكتاب أن لا ينزل الله عليهم الفرقان وما أوحاه إلى محمد ﷺ من حكمه وآياته، وإنما أحبت اليهود وأتباعهم من المشركين ذلك حسدا وبغيا منهم على المؤمنين.

وفي هذه الآية دلالة بينة على أن الله تبارك وتعالى نهى المؤمنين عن الركون إلى أعدائهم من أهل الكتاب والمشركين والاستماع من قولهم، وقبول شيء مما يأتونهم به على وجه النصيحة لهم منهم، بإطلاعه جل ثناؤه إياهم على ما يستبطنه لهم أهل الكتاب والمشركون من الضغن والحسد وإن أظهروا بألسنتهم خلاف ما هم مستبطنون"[١].

ثالثا : الحرص على قتال المسلمين:

من أهم البواعث على قتال المشركين: حرصهم على قتال المؤمنين، وإصرارهم على ذلك، وقد بين القرآن الكريم ذلك في معرض الحث على قتال الكفار، فمهما أظهروا من صداقة ومودة وسلام، فإنهم حريصون كل الحرص على إيذاء المؤمنين وقتلهم ماداموا يخالفونهم في الدين، قال سبحانه: ﴿وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا﴾ (البقرة/٢١٧).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾ (النساء/١٠٢).

فهدف الكفار هو قتل المسلمين، والقضاء عليهم، ولا شك أن من هذا شأنه يستحق أن يقاتَل وأن يواجه، وفي هذا حث للمسلمين على قتال هؤلاء المشركين.

رابعا: عدم وفائهم مع المؤمنين وعدم احترامهم للعهود والمواثيق :

قد يحقد بعض الناس على آخر، ويكون لديه من المبادئ والقيم ما يجعله يحترم الآخرين، ويوفي بعهده معهم، ويرعى الحرمات والمقدسات، والمواثيق والعهود.

أما الكفار فإنهم لا يحترمون عهدا ولا ميثاقا، ولا يمنعهم من إيذاء المسلمين عهد أو ذمة أو قرابة، فلا يحول بينهم وبين إيذاء المسلمين شيء من الأشياء ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، وقد بين القرآن الكريم هذا المنهج للكفار، وكشف سترهم؛ حاثا المؤمنين على قتالهم؛ لأنهم لو ظفروا بالمسلمين فلن يتوانوا عن قتالهم وإيذائهم، قال سبحانه: ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لاَ يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (التوبة/٨)، وقال سبحانه: ﴿لاَ يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُعْتَدُونَ﴾ (التوبة/١٠)، وقال سبحانه: ﴿أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (التوبة/١٣)، وقال سبحانه: ﴿إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ (الممتحنة/٢).

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٤٧٤/١ .



فهم لا يتوانون عن إيذاء المسلمين وعداوتهم بأي شكل من الأشكال سواء كان ذلك باليد أو اللسان، وفي هذا تحذير شديد من التهاون بأمر الكافرين، أو إحسان الظن فيهم، وفيه – بلا ريب – دافع للجندي المسلم للاستماتة في قتال هؤلاء الأعداء المتصفين بهذه الصفات.

خامساً: اعتقاد أهل الكتاب بعدم الحرج في أكل أموال غيرهم:

من المساوئ التي ذكرها الله سبحانه وتعالى عن أهل الكتاب: عدم تحرج بعضهم من أكل أموال غيرهم، واعتقاد استباحة أموال من ليس من أهل الكتاب، كما قال سبحانه: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران/٧٥).

يقول ابن كثير رحمه الله: "وقوله: (ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل) أي: إنما حملهم على جحود الحق أنهم يقولون ليس علينا في ديننا حرج في أكل أموال الأميين، وهم العرب، فإن الله قد أحلها لنا، قال الله تعالى: (ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) أي: وقد اختلقوا هذه المقالة وائتفكوها بهذه الضلالة فإن الله حرم عليهم أكل الأموال إلا بحقها وإنما هم قوم بهت"[١].

ويقول الثعالبي رحمه الله: "وقوله: "(ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل) الآية، الإشارة بذلك إلى كونهم لا يؤدون الأمانة، أي: يقولون نحن أهل كتاب، والعرب أميون أصحاب أوثان فأموالهم لنا حلال متى قدرنا على شيء منها، لا حجة علينا في ذلك ولا سبيل لمعترض"[٢].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: ٣٧٥/١ .

(٢) الجواهر الحسان في تفسير القرآن ٢٨٠/١، وانظر: مدارك التنزيل، للنسفي ١٦١/١ .



الفصل الثالث

ما يتعلق بالمعركة

لم يقتصر أسلوب القرآن على دعوة المسلمين لقتال الكفار وبيان استحقاقهم لذلك، والحث عليه وإبراز مبرراته، وإنما ركز على المعركة بين المسلمين وبين الكافرين وطبيعتها ونتائجها؛ ليكون ذلك دافعا للجندي المسلم لمواجهة الأعداء..

المبحث الأول: وعد الله تعالى بنصر المؤمنين وهزيمة المشركين:

وعد سبحانه وتعالى بنصر المؤمنين على أعدائهم فقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِين، إِنَّهُمْ لَهُمْ الْمَنصُورُونَ، وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمْ الْغَالِبُونَ﴾ (الصافات/١٧١-١٧٣)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (محمد/٧)، وقال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ (النساء/٤٥).

كما بين سبحانه وتعالى أن أعداء الإسلام مهزومون، وأنهم لا يستطيعون مواجهة المسلمين، فقال سبحانه: ﴿وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمْ الأَدْبَارَ ثُمَّ لاَ يُنْصَرُونَ﴾ (آل عمران/١١١)، وقال عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ، لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنْ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُوْلَئِكَ هُمْ الْخَاسِرُونَ﴾ (الأنفال/٣٦،٣٧).

فأوضح عز وجل أن الغلبة للمؤمنين، وأن الكافرين مهما بذلوا من أموال فإنهم مغلوبون، وفي هذا تشجيع للمؤمن لمواجهة الأعداء، فهو واثق بنصر الله تعالى، وهو واثق بأن الله تعالى معه، وهو مما يزيده شجاعة وإقداما.

المبحث الثاني: بيان ضعف الأعداء وجبنهم:

ركز القرآن الكريم في مواضع كثيرة على ضعف الكفار وهوانهم عند مواجهة المؤمنين، وأبان عن جبنهم وشدة خوفهم، ولا شك أن مثل هذا البيان يعطي الجندي المسلم ثقة بنفسه، وشجاعة على مواجهة خصمه، قال سبحانه: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمْ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلاَّ بِحَبْلٍ مِن اللَّهِ وَحَبْلٍ مِن النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِن اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِم الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (آل عمران/١١٢).

وقال سبحانه: ﴿لأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِن اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَ يَفْقَهُونَ، لاَ يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾ (الحشر/١٣،١٤).



وقال سبحانه: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾ (آل عمران/١٥١).

وقال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (الحشر/٢).

فقد وصف الله عز وجل الأعداء في الآيات السابقة بأوصاف عديدة، فقد ضربت عليهم الذلة والمسكنة... وهو سبب من أسباب الهزيمة لهم، وقد غضب الله عليهم، ومن غضب الله عليه فلن ينصره أبدا، وقد ألقى الرعب في قلوبهم، وهم مع ذلك يخافون من المسلمين أشد من خوفهم من الله تعالى.

وكيف لقوم هذا شأنهم أن ينتصروا على قوم مؤمنين بالله عز وجل، مستعينين به، قد وعد بنصرهم وتكفل به، ووعدهم بالمغفرة والجنة.

المبحث الثالث: التوجيه المعنوي للمقاتلين:

مهما كان اقتناع الإنسان بالمبدأ الذي يسير عليه ويعمل به، إلا أنه قد يضعف أمام بعض المتاعب والمصاعب، ومن ثم فقد عالج القرآن ذلك من وجوه كثيرة، منها:

أولا : بيان أن القتال الذي فرضه الله تعالى خير كله، حتى وإن كرهه الإنسان، وأن القعود الذي تركن إليه النفس وترتاح قد يكون فيه الشر، قال سبحانه: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة/٢١٦).

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي: "وأخبر أنه [يعني القتال] مكروه للنفوس؛ لما فيه من التعب والمشقة وحصول أنواع المخاوف والتعرض للمتالف، ومع هذا فهو خير محض؛ لما فيه من الثواب العظيم، والتحرز من العقاب الأليم، والنصر على الأعداء، والظفر بالغنائم، وغير ذلك، و(عسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم) وذلك مثل القعود عن الجهاد لطلب الراحة، فإنه شر؛ لأنه يعقب الخذلان وتسلط الأعداء على الإسلام وأهله، وحصول الذل والهوان، وفوات الأجر العظيم، وحصول العقاب"[(١)].

ثانيا : زرع الثقة بالنفس، ببيان ما يلاقيه الأعداء من المتاعب عند مواجهة المسلمين، قال سبحانه: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ (آل عمران/١٤٠).

فإذا أصاب المسلمين ألم فإن الكفار يتألمون كألمهم، ولكن المسلمين يمتازون بأنهم مع هذا الألم يبتغون الأجر من الله تعالى، أما الكفار فلا يرجون أجرا من الله تعالى ولا مغفرة، يقول

(١) تيسير الكريم الرحمن ٩٧/١ .



سبحانه: ﴿وَلاَ تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنْ اللَّهِ مَا لاَ يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (النساء/١٠٤).

ثالثا: الإخبار بعلو المؤمنين على غيرهم ومعية الله لهم:

مما يحفز المقاتل المسلم ويشجعه على الثبات أمام الأعداء إخبار الله سبحانه بأن المؤمنين هم الأعلون، وأن الله سبحانه وتعالى معهم في كل حال، قال سبحانه وتعالى: ﴿فَلاَ تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمْ الأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ (محمد/٣٥).

رابعا: تهوين شأن الأثر الذي يحدثه العدو:

نجد القرآن الكريم يهون شأن الأعداء، ويوضح أنهم لن يضروا المؤمنين شيئا، قال سبحانه: ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمْ الأَدْبَارَ ثُمَّ لاَ يُنْصَرُونَ﴾ (آل عمران/١١١).

يقول الفخر الرازي رحمه الله: "فأما قوله: (لن يضروكم إلا أذى) فمعناه أنه ليس على المسلمين من كفار أهل الكتاب ضرر، وإنما منتهى أمرهم أن يؤذوكم باللسان، إما بالطعن في محمد وعيسى عليهما الصلاة والسلام، وإما بإظهار كلمة الكفر، كقولهم: ﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ و﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ (التوبة/ ٣٠)، و﴿اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ﴾ (المائدة/٧٣)، وإما بتحريف نصوص التوراة والإنجيل، وإما بإلقاء الشبه في الأسماء وإما بتخويف الضعفة من المسلمين"[١].

المبحث الرابع: أثر القائد في تحفيز المقاتلين:

من الأمور التي تجعل الجندي المسلم يندفع لقتال الأعداء وجود القائد معه في المعركة وتوجيهه له، وحثه على القتال، وقد كان النبي ﷺ في مقدمة الجنود المقاتلين، يرغبهم في الجهاد، ويهيئ لهم ميدان المعركة، ويوجههم، ويبشرهم وينذرهم، قال سبحانه: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (آل عمران/١٢١).

وهاهو ﷺ يبشر المؤمنين بالمدد من الملائكة، كما في قوله سبحانه: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِنْ الْمَلاَئِكَةِ مُنْزَلِينَ، بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلاَفٍ مِنْ الْمَلاَئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ (آل عمران/١٢٥،١٢٤).

وقد أمر الله عز وجل نبيه محمدا ﷺ أن يحرّض المؤمنين على القتال، فقال سبحانه: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضْ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلاً ﴾ (النساء/٨٤).

وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَ يَفْقَهُونَ، الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ

(١) مفاتيح الغيب ١٥٩/٨، وانظر: المحرر الوجيز، لابن عطية ٤٩٠/١ .



عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنفال/٦٥،٦٦).

وهذا موسى – عليه السلام – يوجه قومه ويدعوهم إلى مواجهة أعدائهم، ويأمرهم بالصبر والاستعانة بالله، كما في قوله سبحانه: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ (المائدة/٢١)

وقوله سبحانه: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (الأعراف/١٢٨).

ولا شك أن وجود القائد مع جنوده لتحفيزهم وتذكيرهم له أثر في نفوس الجنود، وقد رأينا ذلك في مواقف كثيرة من غزوات النبي ﷺ وتحفيزه لأصحابه..



الفصل الرابع

التوجيه والتوعيــة

المبحث الأول: سنة الابتلاء.

مهما كانت معرفة الإنسان بما يجب عليه، فإنه بحاجة إلى نوع مــن التــذكير والتحفيــز، وبحاجة إلى إذهاب ضعفه، وإزالة الشبه التي تعيقه عن فعل أوامر الله سبحانه وتعالى.

وقد ذكر القرآن الكريم كثيرا من الحقائق والأمور التي تجعل المسلم يقدم علــى مواجهــة الأعداء، ومن ذلك: الحديث عن الابتلاء، وأنه سنة من سنن الله تعالى، فقــد ابتلــي الأنبيــاء والمرسلون صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وابتلي الأولياء والصالحون من بعدهم، وهــذا أمر طبيعي في هذه الحياة، يقول الله سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمْ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (البقرة/٢١٤)، ويقول سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّــا يَعْلَمْ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران/١٤٢)، ويقول عز وجل: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلاَ رَسُولِهِ وَلاَ الْمُــؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (التوبة/١٦)، ويقول سبحانه: ﴿الم، أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ﴾ (العنكبوت/١،٢).

فالابتلاء سنة من سنن الله عز وجل في هذه الحياة، ومن ثم فالمسلم يعلم أن ما يكون بينه وبــين أعداء الإسلام من فتن وابتلاءات أمر طبيعي في سيره إلى الآخرة، وأن النصر إنما يأتي مع الابتلاء.

المبحث الثاني: حتمية الموت وبيان أن الآجال بيد الله.

يؤكد القرآن الكريم في مواطن كثيرة حتمية الموت، وهو أمر لا يشك فيه أحد، لكنه يــذكر بهذا الأمر في معرض الحديث عن الجهاد، فيبين أن الموت آت لا محالة سواء في حالة الإقدام والشجاعة أو حال الجبن والخور، ويبين سبحانه أن قعود القاعدين وتخلفهم عن المعركــة لــن يحول بينهم وبين الموت، يقول سبحانه: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُّمْ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ (النساء/٧٨)، ويقول سبحانه: ﴿يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لاَ يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنْ الأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمْ الْقَتْلُ إِلَــى مَــضَاجِعِهِمْ﴾ (آل عمران/١٥٤)، وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْــوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِ وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (آل عمران/١٥٦).



وهذا اليقين يزيل الهيبة من قلب الجندي المسلم، لعلمه بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، كما جاء في حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يوما، فقال: يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف"(١).

وفي سيرة المجاهدين ما يبين أثر هذا الإيمان على شجاعتهم وإقدامهم في سبيل الله تعالى.

المبحث الثالث: الولاء والبراء وأثره في التربية الجهادية..

من الأسس الهامة في الإسلام: الولاء والبراء، وقد وردت النصوص في الكتاب والسنة تبين أن المؤمنين بعضهم أولياء بعض، وأن الكافرين بعضهم أولياء بعض، قال سبحانه: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ (التوبة/٧١)، وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ (الأنفال/٧٣).

وقد نهى الله سبحانه وتعالى عن موالاة الكفار حتى وإن كانوا من الأقارب، قال سبحانه: ﴿لاَ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ (المجادلة/٢٢)، وقال سبحانه: ﴿لاَ يَتَّخِذْ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنْ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ (آل عمران/٢٨).

وربما لا يتصور كثير من الناس أثر الولاء والبراء في مجال القتال، وعند التأمل يتضح جليا أثر موالاة المسلمين لأعدائهم على الأداء القتالي، وعلى المواجهة، ذلك أنه لا يمكن أن يجتمع حرب الأعداء وموالاتهم في آن واحد، فهما نقيضان لا يجتمعان، فكيف يتخذ المسلمون الكفار أولياء من دون الله، وهم لا يألون جهدا في إيذائهم والإساءة إليهم، قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ، إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ (الممتحنة/٢،١).

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه ٦٦٧/٤، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأحمد في مسنده ٢٩٣/١ .



وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ، وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ (المائدة/٥٧،٥٨).

المبحث الرابع: إزالة الشبهات التي يثيرها المثبطون:

حرص القرآن الكريم على إزالة الشبه التي قد يطرحها بعض المنافقين لتثبيط المجاهدين في سبيل الله، وفند تلك الشبه، ومنها:

أولا: الزعم بأن قتال الأعداء يؤدي إلى الموت، ولولاه لما حصل الموت للمقاتل، كما جاء في قوله سبحانه: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (آل عمران/١٦٨).

فقد زعم هؤلاء المنافقون بأن الشهداء في سبيل الله فارقوا هذه الحياة الدنيا لكونهم خرجوا إلى الجهاد، وظنوا – جهلا منهم – أنهم لو جلسوا في بيوتهم لبقوا في هذه الحياة الدنيا، فرد الله سبحانه وتعالى هذه الدعوى، بقوله: ﴿قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمْ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (آل عمران/١٦٨)، فإن كانوا صادقين فليدفعوا الموت عن أنفسهم.

وبين سبحانه أن الهروب من مواجهة الأعداء لا يمنع من الموت أو القتل، فالآجال مكتوبة، كما أن ذلك لا يمنع من الإصابة بالأذى الذي قدره الله تعالى، قال سبحانه: ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنْ الْمَوْتِ أَوْ الْقَتْلِ وَإِذًا لاَ تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً، قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنْ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلاَ يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا﴾ (الأحزاب/١٦،١٧).

وقد حذر سبحانه المؤمنين من مثل هذا القول, وبين أن الموت والحياة بيد الله سبحانه وتعالى، كما في قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِ وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (آل عمران/١٥٦).

ثانيا: التخويف من النتائج المترتبة على قتال الكفار:

من الشبه التي يتعلل بها القاعدون عن القتال: الخوف من عودة الأمر إلى الأعداء، وسيطرتهم ومن ثم فهم يتعللون بالخشية من أن يصيبهم مكروه من العدو إن لم يكن النصر لهم، قال سبحانه وتعالى: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِم يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ (المائدة/٥٢).



قال أبو السعود: "الدائرة من الصفات الغالبة التي لا يذكر معها موصوفها، أي: تدور علينا دائرة من دوائر الدهر، ودولة من دوله، بأن ينقلب الأمر وتكون الدولة للكفار، وقيل: يخشى أن يصيبنا مكروه من مكاره الدهر كالجدب والقحط فلا يعطونا الميرة والقرض"(١).

وقال البغوي: "(يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة): دولة، يعني أن يدول الدهر دولته فنحتاج إلى نصرهم إيانا، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: معناه نخشى أن لا يتم أمر محمد فيدور الأمر علينا، وقيل نخشى أن يدور الدهر علينا بمكروه من جدب وقحط ولا يعطونا الميرة والقرض"(٢).

وقد رد الله سبحانه وتعالى على هذه الشبهة بقوله: ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾، فهؤلاء المخذولون واهمون في تصورهم، لا يؤمنون بأن الأمر بيد الله تعالى، فإذا جاء الفتح من الله عز وجل لأوليائه ندموا على ما كانوا في نفوسهم، وخاب ظنهم وتوقعهم.

ثالثا: التعلل بالمشقة والتعب:

من الأسباب المانعة لدى المتخلفين عن القتال في سبيل الله التعلل بالمتاعب من بعد السفر وحرراة الجو، وقد ظهر ذلك فيما أظهروه من وصية لأصحابهم بعدم الذهاب إلى الغزو في الحر، كما قال سبحانه: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لاَّتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوْ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (التوبة/٤٢)، وقال عز وجل: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلاَفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لاَ تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ، فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (التوبة/٨١،٨٢).

وقد جاء الرد واضحا وصريحا في دفع هذه الشبهة: ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ، فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

يقول ابن كثير رحمه الله: "قال الله تعالى لرسوله ﷺ : (قل لهم نار جهنم) التي تصيرون إليها بمخالفتكم أشد حرا مما فررتم منه من الحر، بل أشد حرا من النار"(٣).

وقال الشوكاني رحمه الله: "المعنى: أنكم أيها المنافقون كيف تفرون من هذا الحر اليسير، ونار جهنم التى ستدخلونها خالدين فيها أبدا أشد حرا مما فررتم منه، فإنكم إنما فررتم من حر يسير في زمن قصير ووقعتم في حر كثير من زمن كبير، بل غير متناه أبد الآبدين ودهر الداهرين"(١).

(١) تفسير أبي السعود ٤٩/٣ .

(٢) معالم التنزيل، للبغوي ٤٤/٢، وانظر: فتح القدير، للشوكاني ٥٠/٢ .

(٣) تفسير القرآن الكريم ٣٧٧/٢ .



المبحث الخامس: ذكر النماذج الحسنة والنماذج السيئة:

في إطار تربية المسلم على الجندية المخلصة، وتشجيع الجندي المسلم على مواجهة الأعداء، امتدح الله عز وجل نماذج وقفت في وجه الطغيان، وواجهت الأعداء، وذم الله سبحانه آخـــرين رضوا بواقعهم، وابتعدوا عن ساحة المعركة، وتخاذلوا عن الجهاد في سبيل الله تعالى.

فأما النماذج الحسنة ... فكثيرة جدا، يقول سبحانه: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً، لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (الأحزاب/٢٣،٢٤).

صحيح البخاري ج٣/ص١٠٣٢

عن أنس رضي الله عنه قال غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر فقال يـــا رســـول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء يعني أصحابه وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء يعني المشركين ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر إني أجد ريحها من دون أحد قال سعد فما استطعت يا رسول الله ما صـــنع قـــال أنـــس فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنه برمح أو رمية بسهم ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون فما عرفة أحد إلا أخته ببنانه قال أنس كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيـــه وفي أشباهه من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه إلى آخر الآية"(٢).

ومن النماذج الحسنة التي ذكرها القرآن ما جاء في قوله سبحانه: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ، وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ، فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران/١٤٦-١٤٨).

وفي المقابل فقد ذكر القرآن الكريم نماذج من المتخاذلين عن القتال، وبين أن ذلك من سمات النفـــاق، وقد فضح الله تعالى المنافقين وشنع عليهم في أكثر من موضع، وكذبهم، وأبطل أعذارهم الواهية..

ومن الصعوبة في مثل هذا البحث أن نذكر جميع الآيات التي ورد فيها فالسورة الفاضـــحة (سورة التوبة) مليئة بذكر أخبار المنافقين وكشفهم، وكذا في سورة الأحزاب، وسورة المنافقون .. وغير ذلك كثير جدا، وسأذكر بعض النصوص الواردة في ذم المتخلفين عن القتال من هـــذه

---

(١) فتح القدير ٣٨٨/٢ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ١٠٣٢/٣، كتاب الجهاد والسير، باب قوله تعالى: (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه)، ومسلم في صحيحه ١٥١٢/٣، كتاب الإمارة، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا.



السور وغيرها، فمن ذلك قوله سبحانه: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ، الَّذِينَ قَالُوا لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (آل عمران/١٦٧-١٦٨).

وقوله عز وجل: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوْ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (التوبة/٤٢).

وقوله: ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ، وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ، لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً وَلَأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمْ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ، لَقَدْ ابْتَغَوْا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ (التوبة/٤٥-٤٨).

وقوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلاَ تَفْتِنِّي أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ، إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَهُمْ فَرِحُونَ﴾ (التوبة/٤٩،٥٠).

وقوله: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لاَ تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ، فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ، فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾ (التوبة/٨١-٨٣).

هذه بعض الأمثلة التي ورد فيها التشنيع على المتخاذلين، وهي كثيرة جدا لم أشأ أن أسردها؛ كي لا يزداد البحث طولا[١]، ولا شك أن المؤمن يربأ بنفسه أن يصير في عداد المتخلفين عن القتال، المتصفين بهذه الصفات.

وحري بالقائد والجندي أن يقف على هذه الأوصاف لكي يتجنبها، وتكون حافزا له للابتعاد عن الاتصاف بها؛ ليكون مع المؤمنين الصادقين المجاهدين في سبيل الله تعالى.

(١) يمكن معرفة هذه الأوصاف من خلال آيات كثيرة، ورد أبرزها في سورة التوبة، والأحزاب، والفتح.



الخاتمـــــــة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد:

فمن خلال الوقوف على كتاب الله تعالى وجدنا أن في كتاب الله تعالى ما يحفز الجنـــدي المـــسلم لقتال أعدائه، ورأينا أن الأسلوب القرآني قد بلغ الغاية في الكمال في معالجة هذا الموضوع، وذلك من خلال محاور عديدة.

أولها: أن الله سبحانه وتعالى فرض الجهاد على المسلمين، وجعل القتال مكتوبا علـــيهم لا خيـــار لهم فيه، ومن ثم فلا خيار للجندي في القتال أو عدمه عندما يأمر به الشرع.

ثانيا: بين الله عز وجل فضل الجهاد، وجعل للمجاهدين أجرا عظيما، مما يجعل المـــسلم يـــسارع إلى قتال الأعداء ويتمناه.

ثالثا : الطاعة في الإسلام ليس طاعة عمياء، ولذلك بين القرآن مسوغات القتال ومبرراته؛ لكـــي المقاتل مؤمنا بالهدف الذي يسعى إليه، عالما بمبرراته.

رابعا: ذكر القرآن الفوائد المترتبة على القتال؛ لكي يزداد الجندي المسلم إيمانا بهذا المبدأ.

خامسا: كشف القرآن عن معتقدات الأعداء، وبين أنهم مستحقون للقتال، بسبب موقفهم من ديـــن الله تعالى، وما يكنونه للمسلمين من حقد وعداوة، وعدم وفائهم واحترامهم للعهود والمواثيق.

سادسا: تكفل الله تعالى للمسلمين بالنصر على أعدائهم، وهذا يمنحهم الثقة، ويزيد من عـــزيمتهم، ويشد من عضدهم.

سابعا: بين سبحانه ضعف الأعداء وهوانهم، وضعفهم وجبنهم، مما يشجع الجندي المـــسلم علـــى الإقدام والمواجهة.

ثامنا : نجد في القرآن الكريم دورا بارزا للقيادة في المعركة، وأثرها فـــي تحـــريض المقـــاتلين وتشجيعهم.

تاسعا : عالج القرآن ما يصيب الإنسان من ضعف بشري، أو شكوك، وبين سبحانه وتعالى سنته التي لا تتغير ولا تتبدل في ابتلاء الناس بعضهم ببعض، وأن الموت آت لا محالة، وأن الآجال بيد الله تعالى فلا يقدم القتال الأجل، ولا يؤخره القعود والتخاذل.

عاشرا: أزال القرآن الشبهات التي يثيرها المعوقون والمثبطون عن الجهاد فـــي ســـبيل الله، ورد على هذه الشبه وفندها.

أحد عشر: وردت الإشادة بالنماذج الحسنة التي أقدمت وجاهدت، وامتدح الله عز وجل المقـــاتلين في سبيله، وذم المتخاذلين وذكر نماذج منهم، وكشف حقيقتهم التي ينفر منها كل مسلم.



وأخيرا .. فإن البحث في هذا المجال أوسع من أن يحصَر في صفحات محدودة، وقد حاولت إبرازه بأسلوب مختصر، وأعترف بالخطأ والتقصير، وأحمد الله على ما أسدى من نعم، وعلى توفيقه إياي .. وأسأل الله أن ينفع بما كتبته، وأن يغفر ما فيه من قصور أو زلل.. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ..

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

د/ صالح يحيى صواب



المصادر والمراجع

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود محمد بن محمد العمـادي، ت ٩٥١هـ، دار إحياء التراث، بيروت.
- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، ت ٧٧٤هـ، ط ١٤٠١هـ دار الفكر – بيروت.
- التفسير الكبير، تأليف/ فخر الدين محمد بن عمر الرازي، ت ٦٠٦هـ، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ت ٣١٠هـ، طبعة ١٤٠٥هـ – دار الفكر – بيروت.
- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، لعبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، طبعة مؤسسة الأعلمي، بيروت.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل، شهاب الدين محمود السيد أفندي الآلوسي، ت ١٢٧٠هـ، دار إحياء التراث، بيروت.
- سنن ابن ماجه، لأبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني، ت ٢٧٥هـ، ترتيب/ محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر – بيروت.
- سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، ت ٢٧٩هـ – تحقيق / أحمد محمد شاكرين وآخرين، دار إحياء التراث – بيروت.
- صحيح البخاري، لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، ت ٢٥٦هـ الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م، دار ابن كثير – بيروت.
- صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ت ٢٦١هـ، ترتيب/ محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث – بيروت.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ت ١٢٥٠هـ، دار الفكر – بيروت.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبدالحق بن عطية الأندلسي، المتوفى سنة ٥٤٦هـ، تحقيق عبدالسلام عبدالشافي محمد، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، دار الكتب العلمية – لبنان.



- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لأبي البركات عبدالله بن أحمد النــسفي، ت ٧٠١هـــــ، (بدون معلومات).
- مسند الإمام أحمد، لأبي عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني، ت ٢٤١هـــ ، مؤسسة قرطبة – مصر.

معالم التنزيل، لأبي محمد الحسين البغوي، ت ٥١٠هـــ، تحقيق/ خالد عبدالرحمن العك، دار المعرفة، بيروت.

